المجلس العربي للعلوم الاجتماعية
Arab Council for the Social Sciences
Conseil Arabe pour les Sciences Sociales

دراسات الترجمة العربية في القرن الحادي والعشرين

سامح حنا

ورقة خلفية للتقرير الرابع للمرصد العربي للعلوم الاجتماعية

آب 2022

صدر عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، رأس بيروت
بيروت، لبنان

© آب 2022

إنّ هذا العمل متوفر تحت رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف 4.0 دولي (CC By 4.0). وبموجب هذه الرخصة، يمكنك نسخ، وتوزيع، ونقل، وتعديل المحتوى من دون مقابل، شرط أن تنسب العمل إلى صاحبه بطريقة مناسبة (بما في ذلك ذكر اسم المؤلف، وعنوان العمل، إذا انطبقت الحالة)، وتوفير رابط الترخيص، وبيان إذا ما أجريت أي تعديلات على العمل. لمزيد من المعلومات، الرجاء مراجعة الترخيص هنا: https://creativecommons.org/licenses/by/4.0.

إنّ التسميات المستخدمة في هذا العمل وطريقة عرض المواد فيه لا تعبّر ضمنًا عن أيّ رأي للمجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة بشأن الوضع القانوني لأيّ بلد أو إقليم أو مدينة أو منطقة، ولا بشأن سلطات هذه الأماكن أو رسم حدودها أو تخومها.

إنّ الأفكار والآراء الواردة في هذا العمل هي آراء المؤلف/ة ولا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة، ولا تلزمه بها.

المحتويات

مقدمة: الترجمة كممارسة والترجمة كخطاب شارح (دراسات الترجمة) 1
أهداف الورقة 2
أسئلة في المنهج المستخدم 3
خارطة دراسات الترجمة في الأكاديميا الغربية في العِقد الأخير 4
ترجمة الإنسانيات في العالم العربي 7
خارطة "دراسات الترجمة العربية" في العقد الأخير 9
ملاحظات ختامية وتوصيات 11
قائمة المراجع 12

مقدمة: الترجمة كممارسة والترجمة كخطاب شارح (دراسات الترجمة)

الترجمة كممارسة مجتمعية وثقافية ليست غريبة على الثقافة العربية، لا سيما بعد ظهور الإسلام في القرن السابع ونشأة الحاجة إلى التواصل مع الشعوب التي ذهبت إليها جيوش الفاتحين، ثم تأسيس الدولة الإسلامية في هذه الشعوب، بما استلزمه ذلك من عمليات تعريب واسعة للمجتمعات التي وصلها الفاتحون. فضلًا عن الباعث الديني-السياسي وراء الترجمة في السياق العربي، فقد استدعت الحاجة إلى التحديث الثقافي والمجتمعي نقل المنتج الفكري للآخر إلى اللغة العربية، وهو ما حدث على فترات زمنية متباعدة لعل أهمها على الإطلاق لحظتين تاريخيتين مائزتين أبرزتا أهمية الترجمة في صياغة العقل العربي، وفي إعداده للتأثير في عقل الآخر غير العربي. أهم ما ميز هاتين اللحظتين عن غيرهما هو الاهتمام المؤسسي من جانب صانع القرار بضرورة الترجمة ووجوب دعمها. أما اللحظتان المقصودتان فهما الخلافة العباسية وما تمخض عنها من جهود ترجمة في القرنين العاشر والحادي عشر، خصوصًا من خلال بيت الحكمة؛ وحركة الترجمة التي أطلقها محمد علي في النصف الأول من القرن التاسع عشر والتي بدأت مع إرسال البعثات إلى الخارج واستمرت بعد ذلك من خلال جهود رفاعة الطهطاوي وعلى رأسها تأسيس أول مؤسسة تعليمية لتدريس اللغات الأجنبية في الشرق الأوسط وتخريج المترجمين المؤهلين وهي مدرسة الألسن. على الرغم أن الترجمات التي تمخض عنها الدعم المؤسسي الذي قدمه محمد علي وجهود رفاعة الطهطاوي كانت في خدمة تأسيس الدولة الحديثة وترسيخ مؤسساتها وهو ما استدعى ترجمة العلوم التي احتاجتها الدولة الجديدة، كالطب والهندسة والفيزياء وغيرها، إلا أن هذه النهضة فتحت الباب تدريجيًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لترجمة الإنسانيات، بما في ذلك الأجناس الأدبية المختلفة وفنون المسرح والأوبرا، والتاريخ والجغرافيا وغيرها. هذه المراوحة بين الاهتمام بترجمة النصوص التقنية والعلمية التي تدعم ترسيخ دعائم الدولة الحديثة وتنمية قدراتها، من جهة، وترجمة النصوص التي تندرج تحت الإنسانيات، من جهةٍ أخرى، خلقت – على حد تعبير ريشار جاكمون – توترًا بين منطقين حاكمين للسياسات الحكومية العربية (لا سيما في مصر)، أسماهما جاكمون بالمنطق التنموي والمنطق الإنسانوي the developmentalist and humanistic logics. أنظر (Jacquemond, 2009)

تواصلت جهود الترجمة إلى اللغة العربية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات العشرين، مع وجود اهتمام واضح بترجمة الإنسانيات، توفرت له أسباب عديدة. تزامنت هذه الجهود مع تغيرات سياسية في المشرق العربي، أدت إلى هجرات متوالية من بلاد الشام إلى مصر، نتج عنها نهضة ترجمية أسهم فيها العديد من المثقفين الشوام في ترجمة الإنسانيات عمومًا، والأدب والمسرح على وجه الخصوص. برز دعم الدولة لترجمة الإنسانيات – لا سيما في مصر- في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك من خلال عدد من المشروعات الحكومية (أو شبه الحكومية)، منها جهود لجنة التأليف والترجمة والنشر، ومشروع الألف كتاب الأول، ثم مشروع الترجمة الذي قادته جامعة الدول العربية في الخمسينيات بعد تكليفها للدكتور طه حسين بقيادة هذا المشروع والتخطيط له. وتواصلت هذه الجهود المؤسسية في النصف الثاني من القرن العشرين، ولعل أهمها إنطلاق المشروع القومي للترجمة من خلال المجلس الأعلى للثقافة وتحوله بعد ذلك إلى كيان مستقل تحت مظلة المركز القومي للترجمة. كذلك شهدت الترجمة إلى العربية اهتمامًا ملحوظًا خارج مصر وذلك من خلال العديد من المشروعات التي أطلقها عدد من الدول العربية لا سيما في دول الخليج، منها مشروع كلمة في دولة الإمارات ومشروعات النشر المختلفة التي ظهرت في الكويت منذ سبعينيات القرن العشرين واهتمت بترجمة الإنسانيات، ومنها سلسلة عالم المسرح (التي تحولت الآن إلى سلسلة إبداعات عالمية) وسلسلة عالم المعرفة ومجلة عالم الفكر وغيرها.

هذا الاهتمام بنشر الترجمة، خصوصًا في مجالات الانسانيات المختلفة، لم يكن على نفس الدرجة في الفترة منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، ولكنه تباين بتباين الدعم المؤسسي الموجه له. ورغم ذلك ظلت ترجمات الانسانيات حاضرة بشكل أو بآخر. غير أن هذه الورقة لا تهتم بالدرجة الأولى برصد تطور حركة نشر الترجمة في مجالات الإنسانيات، وإن كان ذلك في خلفية أجندتها البحثية؛ لكن الاهتمام الأساسي لهذه الورقة هو بالخطاب الذي تم تطويره داخل المؤسسات الأكاديمية حول فعل الترجمة، كممارسة وكمُنتَج نهائي، سواء تطور هذا الخطاب داخل العالم العربي أو خارجه من خلال باحثين عرب يقيمون في الخارج أو ينشرون أبحاثهم في دوريات علمية أجنبية. يهتم هذا الخطاب بطرح أسئلة من قبيل: كيفَ نُعرف الترجمة؟ ما هي التحديات اللغوية والثقافية التي يواجهها المترجم عند نقل النصوص (التحريرية أو الشفاهية) من لغةٍ لأخرى؟ وما هي الاستراتيجيات التي يستخدمها المترجم للتغلب على هذه التحديات؟ ما البواعث الثقافية والمجتمعية والسياسية وراء فعل الترجمة؟ وكيف نفهم حضور المترجم وصوته الخاص في ضوء ثنائية تبسيطية هي ثنائية الأمانة والخيانة في الترجمة؟ ما الذي يجعل ترجمات معينة تحتل مكان المركز في الأرشيف الثقافي، فيما تتهمش ترجمات أخرى أو يتم نزعها من ذاك الأرشيف؟ كيف نكتب تاريخ الترجمة وما هي العوامل التي تحكم تكريس ترجمات ومترجمين وتغييب غيرهم؟ وكيف نقرأ نص الترجمة بوصفه وثيقة اجتماعية دالة على لحظتها التاريخية والاجتماعية وعلاقات الإنتاج الثقافي التي تمخضت عن تلك الوثيقة؟ ما هي معايير الترجمة في ثقافة ما، في زمن ما؟ وكيف تتشكل هذه المعايير؟ من الذي يمنحها معياريتها، وما آليات تحديها لاستبدالها بمعايير أخرى؟ كيف أثرت التكنولوجيا على الترجمة، ممارستها وطريقة فهمنا لها؟ هذه الأسئلة وغيرها تقع في القلب من حقل معرفي تطور داخل الانسانيات منذ سبعينيات القرن العشرين في الأكاديميا

الغربية[1]، وتمأسست من خلاله دراسة الترجمة كفعل لغوي-ثقافي-مجتمعي. تبلورت عملية المأسسة في نشوء مراكز بحثية مستقلة وأقسام جامعية تضم برامج ماجستير ودكتوراه تحمل اسم هذا الحقل المعرفي الذي أُتُفِقَ على تسميته ب "دراسات الترجمة". هذا الحقل يتجاوز بيداجوجيا الترجمة أو مجرد تدريس مهارات الترجمة بما يكفي للمتعلم كي يلتحق بسوق الترجمة، وهي مهمة تقوم بها معظم أقسام اللغات الأجنبية في الجامعات العربية. إنما يهتم هذا الحقل أساسًا برصد الظواهر الترجمية المختلفة في محاولةٍ لفهمها لغوياً وإدراكيًا ومجتمعيًا وثقافيًا، مستخدمًا أدوات ومنهجيات البحث التي تم تطويرها في علوم إنسانية واجتماعية عدة، تشمل علم اللغة والدراسات الأدبية المقارنة وإن كانت تتجاوزها إلى غيرها من المباحث الأخرى.

رغم وجود خطاب حول الترجمة في الثقافة العربية[2] ، إلا أنه لم يتمأسس في أقسام أكاديمية ومراكز بحثية وبرامج دراسية عربية إلا في العقد الأخير؛ ربما يكون الاستثناء في ذلك هو كلية الألسن التي أولت اهتمامها للبحث في الترجمة، وإن كانت ما زالت غير قادرة على مواكبة التطورات البحثية الهائلة التي طرأت على حقل دراسات الترجمة في العقود الأخيرة وانصبَّ جُل تركيزها على البحث في الأبعاد اللغوية للترجمة.

أهداف الورقة

تهدف هذه الورقة الخلفية – إذًا – إلى الآتي:

- توصيف ترجمة الإنسانيات في العالم العربي: التوجهات العامة في السنوات العشر الأخيرة
- وضع خارطة عامة لمبحث دراسات الترجمة في وضعه الحالي في الأكاديميا الغربية، لا سيما في العقد الأخير: ويشمل ذلك العناوين العريضة لما يدور داخلها؛ الأسئلة البحثية المطروحة؛ المنهجيات الجديدة التي تم تطويرها في العقد الأخير؛ الظواهر الترجمية التي تتصدر أجندة البحث الآن؛ علاقة دراسات الترجمة بالحقول البحثية الأخرى في الانسانيات عمومًا (بما في ذلك اللغويات، والدراسات الثقافية، والدراسات الأدبية، والفلسفة، خصوصًا الهرمنيوطيقا، إلخ) والعلوم الاجتماعية وأيضًا العلوم التطبيقية.
- وضع خارطة لبدايات دراسات الترجمة وتطوراتها، خصوصًا في العقد الأخير، في العالم العربي: ويشمل ذلك الأسئلة المطروحة على أجندة الباحث/ة العربي/ة، والمنهجيات التي تم تطويرها للاشتباك مع هذه الأسئلة، والظواهر الترجمية التي تم رصدها كموضوع للدراسة.
- وضع بيبليوغرافيا مبدئية بأهم الإصدارات في دراسات الترجمة التي أنتجها باحثون عرب، سواء بالعربية أو الإنجليزية[3].
- التعليق على وضعية تدريس دراسات الترجمة في التعليم العالي في العالم العربي: الدرجات العلمية والبرامج المتاحة، وتقييم المقررات المقدمة.
- وضع خارطة للمؤسسات الثقافية والمهنية المهتمة بالترجمة ودراساتها في العالم العربي: علاقتها بالمؤسسة الأكاديمية والدور الذي تلعبه في إشاعة الحوار حول الترجمة من زوايا بحثية جديدة، طازجة.
- تقييم الحضور العام لدراسات الترجمة في المجال العام، بما في ذلك الإعلام العربي عمومًا، والثقافي منه على وجه الخصوص.
- تقييم وضعية الباحث/ة في دراسات الترجمة في العالم العربي: التحديات التي تقابله/ا
- الخروج بتوصيات عامة تهدف إلى الدفع بهذا المجال البحثي في الإتجاهات الصحيحة التي تضمن تطوره واشتباكه مع الأسئلة الحقيقية والظواهر الترجمية الجديدة بما يؤدي في النهاية إلى وضع الباحثين العرب على خارطة دراسات الترجمة عالميًا.

---

[1] تعبيرات من قبيل "غربية" و"شرقية" أصبحت إشكالية الآن ولا أستخدمها هنا إلا إجرائيًا لتسهيل النقاش وللإشارة إلى المؤسسة الأكاديمية خارج العالم العربي، خصوصًا في أوروبا والولايات المتحدة. أضحت هذه التعبيرات مشحونة بكثيرٍ من الدلالات والتضمينات، وعلى الكاتب والقارئ أن يتعامل معها بحرصٍ.

[2] أنظر المجلد الصادر حديثًا عن دار نشر راوتلدج من تحرير طارق شما وميريام سلامة كار ومنى بيكر (Shamma, Salama-Carr, & Baker, 2021)

[3] هناك هامش من البحوث التي تندرج تحت دراسات الترجمة العربية والتي تم نشرها في لغاتٍ غير العربية والإنجليزية، وتحتاج إلى فريق متكامل من الباحثين المتخصصين في هذه اللغات للنظر فيها والإحاطة بها.

أسئلة في المنهج المستخدم

يحاول هذا القسم الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بالمنهجية المتبعة، ويمكن إجمالها فيما يلي:
أولًا: لماذا نحتاج خارطة دراسات الترجمة في المؤسسة الأكاديمية الغربية في ورقة تسعى إلى رسم خارطة "دراسات الترجمة العربية"[4]؟
ثانيًا: ما الأدوات المستخدمة في توصيف دراسات الترجمة (أو رسم خارطتها) عمومًا ودراسات الترجمة العربية، إن جاز لنا هذا التعبير؟
ثالثًا: ما العوائق التي تحول دون تقديم صورة تفصيلية معبرة عن واقع دراسات الترجمة عمومًا ودراسات الترجمة العربية خصوصًا؟

لماذا نحتاج خارطة دراسات الترجمة في الأكاديميا الغربية؟
دراسات الترجمة الحديثة وُلِدت وتطورت في رَحِم المؤسسة الأكاديمية الغربية. هذا لا يعني – كما ذكرت سالفًا – غياب خطاب حول الترجمة في التراثات اللغوية غير الأوروبية، ومنها التراث العربي؛ وإنما يعني أن الخطاب حول الترجمة لم يتخذ شكلًا مؤسسيًا إلا في المؤسسة الأكاديمية الغربية على مدار العقود الأربعة الماضية، ومنذ منتصف سبعينيات القرن الفائت. مأسسة هذا الخطاب شملت تطوير لغة شارحة مستقلة ومنهجيات خاصة جعلت من دراسات الترجمة حقلًا بحثيًا مستقلًا عن علم اللغة والدراسات الأدبية المقارنة؛ كما شملت هذا المأسسة – كما أسلفنا – تخصيص مراكز بحثية وأقسام لمنح درجات علمية في هذا التخصص، ورصد التمويل لتشجيع البحث داخل هذا الحقل، وإطلاق مجلات ومؤتمرات وجمعيات تتيح الفرصة للباحثين لنشر أبحاثهم وتمنحهم هوية بحثية جمعية تجمعهم تحت مظلة دراسات الترجمة. ومن ثم فإن هذا الحقل المعرفي – بلغته الشارحة ومنهجياته ونظرياته – هو واردٌ مستجدٌ على الباحث العربي، ولذا يصعب رسم خارطة البحث العربي في هذا المجال دون أن ننسبها إلى ونراها في ضوء ما تم في المؤسسة الأكاديمية الغربية.

الأدوات المنهجية المستخدمة في هذه الورقة
تجمع هذه الورقة في رصدها لواقع دراسات الترجمة في المؤسستين الأكاديميتين، الغربية والعربية، بين الدرس الإحصائي-البيبليوغرافي المُستند إلى بيانات رقمية تؤشر على واقع دراسات الترجمة، من جهة، وبين التحليل الكيفي من خلال دراسات سعت إلى تفسير التوجهات المختلفة داخل هذا الحقل، لا سيما في العقد الأخير. فيما يتعلق بالبعد الإحصائي-البيبليوغرافي تستند هذه الورقة بشكل أساسي إلى واحدة من أهم قواعد البيانات البيبليوغرافية في دراسات الترجمة والمعروفة ب "ببيليوغرافيا الترجمة الشفاهية والتحريرية" Bibliography of Interpreting and Translation (**سلايد** أ) والتي أطلقها ويشرف عليها قسم الترجمة بجامعة آليكانتي بأسبانيا. تم الاستعانة -بشكل ثانوي - بقاعدة بيانات بيبليوغرافية أخرى وهي قاعدة بيانات "بيبليوغرافيا دراسات الترجمة" Translation Studies Bibliography التي تشرف عليها دار نشر بنجامينز الهولندية (**سلايد ب**). إعطاء الأولوية لقاعدة بيانات جامعة آليكانتي يعود لسببين رئيسيين: 1) أنها تتيح إمكانية البحث بين فترتين زمنيتين، مما سهل لي البحث في الفترة المطلوبة، وهي من 2010 وحتى 2021؛ 2) أنها تتيح معلومات عن عدد المراجع المنشورة باللغة العربية والتي تم إدراجها ضمن قاعدة البيانات. هاتان الآداتان لا تتوفران في قواعد البيانات البيبليوغرافية الأخرى، والمتخصصة في دراسات الترجمة. فضلًا عن ذلك، فقاعدة بيانات "بيبليوغرافيا الترجمة الشفاهية والتحريرية" تحوي عددًا أكبر من المراجع، إذ تضم عدد 87047 مرجع تشمل الرسالة الأكاديمية والمقال وفصل في كتاب مُحرر. كذلك تضم هذه البيبليوغرافيا معلومات عن مراجع منشورة بأربع عشرة لغة، منها الإنجليزية والعربية والفرنسية والأسبانية والصينية.

أيضًا تم الاستعانة بالدراسة البيبليوغرافية الهامة التي نشرها عام 2015 كلٌ من زانيتين وسالدانا وهاردينج التي حاولوا فيهم رصد التحولات في دراسات الترجمة من خلال بحث احصائي-بيبليوغرافي لقاعدة البيانات المعروفة ب "مستخلصات دراسة الترجمة" Translation Studies Abstracts (**سلايد: صورة دراسة زانيتين**). سيتم الرجوع إلى هذه الدراسة لاحقًا للإشارة إلى بعض التحولات والتوجهات الموجودة في دراسات الترجمة في الفترة التي غطاها البحث. لتفاصيل تلك الدراسة، أنظر (Zanettin, Saldanha, & Harding, 2015). بالإضافة إلى الأدوات الإحصائية-البيبليوغرافية، فقد تم الاستعانة بمجموعة من الدراسات التي ترصد التحولات النظرية والمنهجية في دراسات الترجمة في العقد الأخير. وفيما يتعلق بدراسات الترجمة العربية، تم الاستعانة ببعض الدراسات البيبليوغرافية، وبعض قواعد البيانات الخاصة بعدد من الجامعات العربية، فضلًا عن استطلاع رأي تم تصميمه من خلال وسائط التواصل الاجتماعي، الهدف منه التعرف على

[4] تعبير "دراسات الترجمة العربية" تعبير إشكالي في ذاته، ربما يحتاج دراسة مستقلة تبحث فيما إذا كان لدينا بالفعل ما يمكن تسميته ب "دراسات الترجمة العربية". ما المقصود ب "العربية" هنا؟ هل المقصود بها الدراسات المنشورة بالعربية، أم الدراسات التي تبحث في الترجمة من العربية وإليها ولكنها منشورة بالإنجليزية أو غيرها من اللغات؟ هل هي الدراسات التي يقوم بها باحثون عرب، أم مستعربون؟ كلها أسئلة تحتاج للفحص. أستخدم هذا التعبيرإجرائيًا هنا للإشارة إلى مُجمَل الدراسات التي قام بها باحثون عرب وأتاحوها في منشورات علمية تندرج بشكل أو بآخر تحت "دراسات الترجمة"، باللغتين الإنجليزية والعربية، داخل العالم العربي أو خارجه.

دراسات الترجمة في التعليم العالي العربي وعن حضورها في المجال العام. كذلك تم التواصل مع بعض الأساتذة العرب المسئولين عن برامج دراسات الترجمة في عدد من الجامعات العربية. إضافةً إلى ذلك كله، سيتم الاستعانة بكتاب قمت بتحريره مع زميلين ونشر منذ عامين في رواتلدج وظيفته – كما جاء في مقدمة المحررين – ''وضع خارطة لدراسات الترجمة العربية''. وسيستخدم هذا الكتاب كدراسة حالة حيث يضم دراسات من باحثين عرب من دول عربية مختلفة، داخل وخارج العالم العربي، ومن خلفيات نظرية ومنهجية مختلفة.

عوائق وتحديات المنهج المستخدم

الأدوات المنهجية المستخدمة تطرح مجموعة من التحديات تؤثر بالضرورة على دقة الصورة التي تحاول هذه الورقة رصدها، ومنها ما يلي:

- عدم وجود قواعد بيانات موثوقة ووافية في العالم العربي يمكن للباحث أن يستند إليها في رصده لصورة دقيقة عن النشاط البحثي لدراسات الترجمة العربية. وإن حدث وتوفر بعض قواعد البيانات، فهي لا تعمل بكفاءة تقنية، وتفتقر إلى تحديث البيانات الموجودة فيها.
- صعوبة الوصول إلى معلومات وافية عن برامج ومقررات دراسات الترجمة في الجامعات العربية، فبعضها متاح بغير تفصيل على مواقع الجامعات، والبعض الآخر غير متاح على الإطلاق.
- قواعد البيانات البيبليوغرافية المتاحة في الجامعات الغربية، على ما لها من فائدة كبرى، إلا أنها لا تخلو من نواقص منها انحيازات من يقومون عليها أو ضعف إمكانياتهم بما يسمح لهم برصد الأبحاث المتعلقة بدراسات الترجمة، خصوصًا المنشورة في لغاتٍ غير الإنجليزية والفرنسية والأسبانية. مثال ذلك هو أن عدد المراجع المنشورة باللغة العربية على بيبليوغرافيا الترجمة الشفاهية والتحريرية هو 113 في الفترة منذ أواخر السبعينيات حتى 2018، وهو رقم يصعب الثقة في صحته. يشير زانيتين وآخرين إلى هذه الفجوة في قواعد البيانات المتاحة في حقل دراسات الترجمة، مؤكدين على محدودية عدد المراجع البحثية المنشورة بلغاتٍ غير الإنجليزية، متخذين من بيبليوغرافيا دراسات الترجمة نموذجًا، كما يتضح من الشكل التالي **(أنظر الرسم البياني أدناه)**

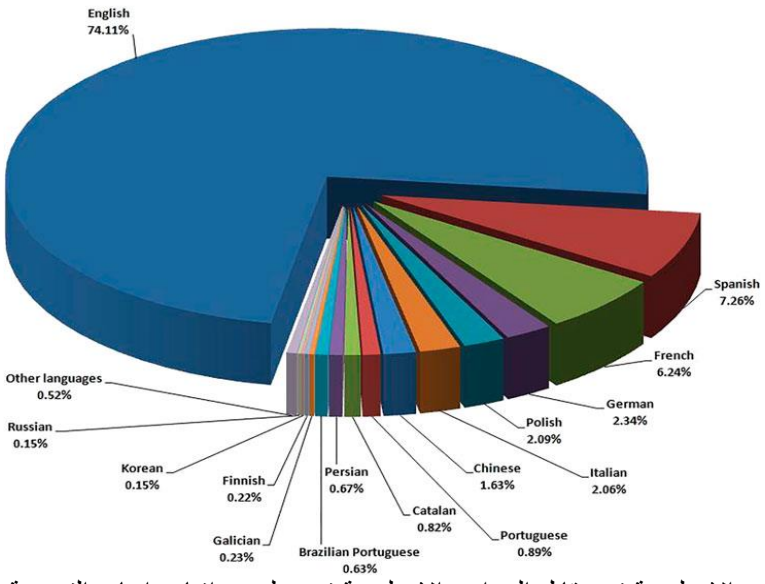

نسبة تمثيل المراجع غير الإنجليزية في مقابل المراجع الإنجليزية في بيبليوغرافيا دراسات الترجمة. أنظر (Zanettin et al., 2015: 164)

خارطة دراسات الترجمة في الأكاديميا الغربية في العِقد الأخير

بناءً على الأدوات الإحصائية-البيبليوغرافية والدراسات التحليلية المُشار إليها سالفًا، يمكن رصد التحولات الأساسية في دراسات الترجمة في الأكاديميا الغربية في الخطوط العريضة التالية:

- **من ترسيم حدود دراسات الترجمة إلى توسيع/زعزعة هذه الحدود**: تطورت دراسات الترجمة من حقل يسعى إلى ترسيم حدود مستقلة تفصله عن حقلي اللغويات والدراسات الأدبية المقارنة اللذين نشأت في كنفهما إلى حقل يسعى إلى تقويض حدوده المعرفية، أو على الأقل فتح ثغرات فيها تصل دراسات الترجمة بغيرها من المباحث في العلوم

الإنسانية والاجتماعية. لحظة الاستقلال وترسيم الحدود كانت عام 1972 عندما ألقى جيمس هومز ورقة في مؤتمر تحت عنوان "اسم دراسات الترجمة وطبيعتها" (**سلايد: صورة من ورقة هومز**)، والتي حاول فيها أن يُرسِي البنية النظرية الأساسية لدراسات الترجمة، فاصلًا بينها وبين الحقول الأخرى، وراسمًا خريطتها البحثية التي تم تبنيها وتطويرها لاحقًا من جانب باحثين آخرين. قبل أن ينقضي عقدان من الزمان على هذه اللحظة ضاق الباحثون في دراسات الترجمة بتلك الحدود وشرعوا يطرحون السؤال على جدواها . كان ذلك في مؤتمر آخر عن دراسات الترجمة عُقِد في فيينا عام 1992، وتناولت أوراقه سبل تطوير دراسات الترجمة. نشرت أوراق المؤتمر لاحقًا في كتابٍ تحت عنوان دال هو: "دراسات الترجمة: مبحث بيني" *Translation Studies: An Interdiscipline* من تحرير ماري سنيل-هورنبي وآخرين (**سلايد: صور الغلاف**)؛ ومنذ تلك اللحظة تركز اهتمام الباحثين في حقل دراسات الترجمة على فتح ثغرات في حدودها واستجلاب نظريات ومفاهيم ومنهجيات من حقول معرفية مجاورة وتوظيفها لصالح دراسة الظواهر الترجمية المختلفة.

- **التحولات/الانعطافات في دراسات الترجمة**: السمة المميزة لدراسات الترجمة في الأكاديميا الغربية على مدار العقدين الماضيين هي التحولات السريعة في الأطر النظرية والمنهجيات أو ما أسماه توماس كون بالنماذج المعرفية الإرشادية التي تحكم النشاط البحثي في أي حقل معرفي. لهذه التحولات في النماذج المعرفية فائدتها من حيث توسيع حدود الحقول، بل وأحيانًا مسائلة هذه الحدود، وفحص جدوى وجودها، مع البحث في احتمالات التلاقح المعرفي بين دراسات الترجمة وغيرها من حقول الترجمة الأخرى. عن تعقد وتلاحق وتسارع التحولات داخل دراسات الترجمة تقول منى بيكر وجابرييلا سلدَنا في مقدمتهما للطبعة الثالثة من *موسوعة راوتلدج لدراسات الترجمة* الصادرة عام 2020: (**سلايد: صورة غلاف الطبعة الثالثة من الموسوعة**)

> عندما شرعنا في التجهيز للطبعة الثالثة من الموسوعة وذلك في نهايات عام 2016، بات من الواضح لنا أننا أمام حقل معرفي مختلف بشكل جذري عما ألفناه في الطبعات السابقة، فقد تشعب هذا الحقل في عدة اتجاهات متباينة ولم يعد بالإمكان الآن اختزاله في مجموعة من المقاربات المتمايزة أو التحولات المتباينة كم يرى البعض (Baker & Saldanha, 2020: XIV)

- **الإشكال الأنطولوجي والتحدي الإبستِمولوجي**: السبب الأساسي وراء هذه التحولات داخل حقل دراسات الترجمة – كما يقول تشيسترمان وغيره من الباحثين– هو التحولات في أشكال الترجمة وأنواعها وآليات ممارستها وانتاجها والتكنولوجيا المستخدمة في إنتاجها واستهلاكها. هذا أدى بدوره إلى وجود **تحدي أنطولوجي**، له علاقة بطبيعة موضوع الدراسة في دراسات الترجمة، وهو الترجمة نفسها، كعملية وكمنتج وعدم وجود إتفاق من جانب المشتغلين في دراسات الترجمة على تعريف وتحديد هذه الظاهرة، كما أدت هذه التحولات أيضًا إلى وجود **تحدي إبستمولوجي**، له علاقة بسؤال المعرفة وآلياتها ومنهجياتها، وطرائق فهمنا لهذه الظاهرة المتحولة، المتغيرة بسرعة. التحدي الإبستمولوجي تجلي في المنهجيتين الأساسيتين اللتين تحكمان دراسات الترجمة وتعكسات فهم أصحابها للتعريف الأنطولوجي للترجمة، كما تعكسان أيضًا تصور أصحابها عن الإبستمولوجيا التي يجب أن تصوغ عملية البحث في الترجمة. هذان المنهجان هما المنهج التجريبي الأمبريقي الذي يقوم على التركيز على المادة اللغوية للترجمة، بجمعها وتصنيفها ودرسها إحصائياً من خلال تكنولوجيا بحثية تقوم على جمع المادة اللغوية للنصوص المترجمة والنصوص المصادر وتصنيفها وتحليلها. هذا المنهج يتصور أن الترجمة قابلة – إلى حدٍ ما – للفحص الموضوعي الذي يمكن أن يُفضِي إلى نتائج موضوعية. أما المنهج الآخر، فهو المنهج التأويلي-الهرمنيوطيقي، أو ما يسمية تشسترمان بالمنهج ما بعد الحداثي، فهو ذاك الذي يتشكك في إمكانية الدراسة الموضوعية للترجمة كظاهرة، ويعتمد في أدواته على توجهات الباحث ومنطلقاته الفكرية. أنظر (Chesterman, 2019)
- **مخاطر التحولات السريعة داخل حقل دراسات الترجمة**: من ناحيةٍ أخرى، فإن لهذه التحولات السريعة سلبياتها ومضارها، إذ أصبح الجديد مطلبًا في حد ذاته، دون فحص جدواه، وجدوى الأسئلة البحثية التي تدفع في إتجاه هذا التحول الجديد. ربما هذا ما دفع "ديرك ديلاباستيتا" أستاذ دراسات الترجمة والنظرية الأدبية بجامعات بلجيكا، وذلك في سياق حواره مع منى بيكر حول بدايات مجلة "المترجم" التي أسستها وأطلقتها بيكر في تسعينيات القرن الماضي، هذا ما دفعه إلى القول بأن البلاغة التي تمجد التطورات الحادثة في حقل دراسات الترجمة دون تَبَصُّر تدفع في إتجاه توثين ما هو جديد والرغبة المحمومة – وغير المدروسة تمامًا – في إغفال وتجاهل منجزات الماضي، لا بناءً على محتواها، وإنما فقط لمجرد قِدمِها (Baker, Delabastita, Inghilleri, Harding, & Polezzi, 2020: 304-5). وربما هذا ما جعل منى بيكر تطلق بابًا أساسياً في مجلة "المترجم" في بداياتها تحت عنوان "إعادة زيارة الكلاسيكيات" وظيفته تقديم قراءات طازجة للكتابات التأسيسية في حقل دراسات الترجمة. أظن فكرة السعي وراء الجديد، فقط لجدته، هي واحدة من المعضلات التي تؤثر على أصالة البحث في دراسات الترجمة في الغرب، ولعل هذه الآفة أيضًا قد انتقلت، بشكل أو بآخر، لدراسات الترجمة في العالم العربي، إذ تشي بعض الدراسات بقفز بعض الباحثين إلى أحدث المستجدات في هذا الحقل دون وعيٍ حقيقي بالمنجزات القديمة التي أسست له.

- **تفتيت حقل دراسات الترجمة إلى تخصصات فرعية أم نموه وثراؤه؟** كما يقول أندرو تشيسترمان، فإن هذه التحولات السريعة، والمتلاحقة تحمل معها مخاطرةً وتحديًا. **أما المخاطرة فتكمن في التشظي الذي أصاب حقل دراسات الترجمة، بتحوله إلى تخصصات فرعية صغيرة تتجمع حول كيانات ومؤتمرات وتنشر أبحاثها في مجلات فرعية متخصصة، مما يفقدها جميعًا التواصل مع أحدها الآخر. أما التحدي فيكمن في محاولة تجميع هذه الشظايا البحثية على أرضية مشتركة، توجه عام يحتويها،** أو لغة شارحة مشتركة يستخدمها الكل بحد أدنى من التوافق على المعاني والدلالات والتعريفات. أنظر في ذلك (Chesterman, 2019). هذا التوتر بين الرغبة في تشجيع التجديد والإضافة إلى حقل دراسات الترجمة بفتح حدود هذا الحقل على أُطر نظرية ومنهجيات جديدة، والرغبة في الحفاظ على حد أدنى من التماسك والتوافق داخل هذا الحقل – هذا التوتر نتلمس أصداؤه أيضًا في مقدمة الطبعة الثالثة من موسوعة راوتلدج لدراسات الترجمة، إذ تقول المحررتان:

> كيف يمكن للطبعة الجديدة من الموسوعة أن تدعم وتدفع التطورات الجديدة التي ما فتئت تتشكل، أحيانًا على نحوٍ غير متوقع، وحتى اللحظة التي نسطر فيها هذه المقدمة؟ وبنفس القدر من الأهمية أيضًا، كيف يتسنى للموسوعة أن تجمع بين توجهات بحثية متباينة تتناولها مراجع عديدة على نحوٍ يُمَكِّن الباحثين من الحديث عن حقل بحثي واحد اسمه دراسات الترجمة؟ (Baker & Saldanha, 2020: XIV) (جدلية "التنافد" أو المراوحة بين التنافر والترافد).

- **التوجهات البحثية السائدة في حقل دراسات الترجمة الآن:** تشسترمان وفان دورسلاير يقسمان هذه التوجهات إلى أربعة أساسية: 1) مقاربات لغوية (تهتم في الأساس بعلاقات وأشكال التكافؤ بين النص المصدر والنص الهدف)؛ 2) مقاربات ثقافية (تهتم بتأثير الأيديولوجيا، وعلاقات السلطة بين الثقافة المصدر والثقافة الهدف، وأشكال التثاقف بين اللغتين والنصين)؛ 3) مقاربات إدراكية-معرفية (تهتم بالبحث في العمليات الإدراكية التي تتم أثناء أداء عملية الترجمة من خلال البحث في حركة العين على النصوص، وحركة الأصابع على لوحة المفاتيح، وباستخدام منهجيات مثل "التفكير بصوت عالي"Think-aloud-protocols)؛ 4) مقاربات سوسيولوجية (البحث في فاعلية المترجم، ظروف العمل وبيئة الترجمة، وشبكات العلاقات التي تحكم عملية الترجمة ومنتجها النهائي). أنظر (van Doorslaer, 2020: 144) و (Chesterman, 2019). الملاحظ أن كل المقاربات – ربما عدا المقاربة اللغوية – تلتفت بشكل أو بآخر لفاعلية المترجم ودوره، سواء من الناحية الثقافية أو الإدراكية أو السوسيولوجية.
- **توزيع الاهتمامات البحثية بالنسبة إلى الموضوعات التي يتم بحثها:** خلال العقد الماضي، ظلت بعض القضايا والموضوعات موضع اهتمام من الباحثين، فيم خفت حضور بعض القضايا الأخرى. على سبيل المثال، ظلت قضايا الترجمة الأدبية، والأبعاد الثقافية-الأيديولوجية للترجمة تجذب أكبر عدد من الأبحاث، بالمقارنة مع قضايا أخرى لم تعد موضع اهتمام كبير مثل الترجمة والجنوسة، والترجمة القانونية، إلخ، وهو ما عبرت عنه بشكل واضح دراسة زانيتين وآخرين، كما يتضح من الشكل التوضيحي التالي:

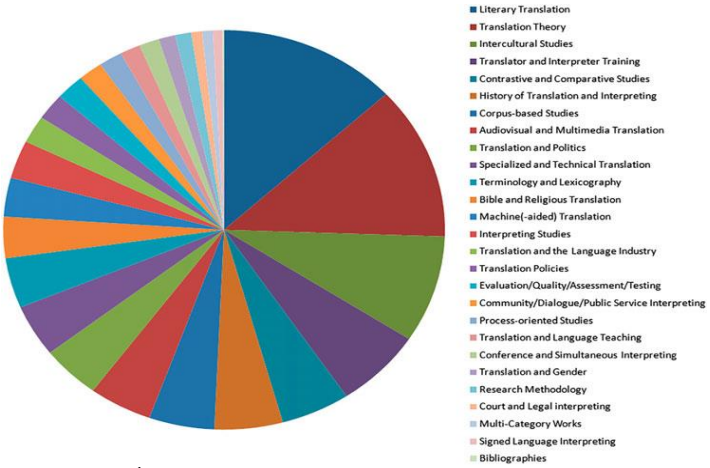

نسبة توزيع القضايا والموضوعات البحثية في بيبليوغرافيا دراسات الترجمة. أنظر (Zanettin et al., 2015: 168)

- مستقبل دراسات الترجمة – مابعد دراسات الترجمة: يستخدم جنتزلر تعبير تم استخدامه وتطويره بعد ذلك للدلالة على ضرورة خروج دراسات الترجمة خارج حدودها المعروفة والمألوفة لتبحث في استخدامات مفهوم "الترجمة" في العلوم الإنسانية المجاورة وفي غيرها من العلوم الاجتماعية أيضًا. هذا التعبير هو "التحول نحو الخارج" the outward turn والذي استخدمته وطورته كورنيليا زويشنبرجر في دراسةٍ لها عن ضرورة خروج دراسات الترجمة خارج حدودها. أنظر (Zwischenberger, 2019). في هذه الدراسة تقصد زويشنبرجر بالتحول نحو

الخارج أمرين: الأول: خروج دراسات الترجمة إلى ساحة الممارسة العملية للترجمة للاشتباك الفاعل مع الخطابات التي تصدرها المؤسسات المهنية المعنية بالترجمة، وهي خطابات تقدم فيها للمترجمين ولمستهلكي الترجمة تصورات معينة عن اللغة والمعنى وطبيعة الترجمة ودور المترجم. هذه الخطابات مازالت تقف عند التصورات التبسيطية التي ترى المعنى ساكنًا استاتيكيًا والترجمة ليست سوى نقل ميكانيكي للمعنى من لغةٍ لأخرى. الأمر الثاني الذي تقصده زويشنبرجر بالتحول إلى الخارج هو خروج دراسات الترجمة إلى العلوم الإنسانية الأخرى التي تسعى الآن لفهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية من خلال مفهوم "الترجمة الثقافية" دون وعي بالتطورات الحادثة في دراسات الترجمة وفي غيبةٍ منها.

- **الدراسات البينية والدراسات العابرة للحقول البحثية**: بالنسبة لعلاقة دراسات الترجمة بغيرها من الحقول البحثية الأخرى، اهتم الخطاب السائد في دراسات الترجمة بنوعين من المقاربات: الدراسات البينية والدراسات العابرة للحقول البحثية interdisciplinarity and transdisciplinarity. المقاربة الأولى تهتم باستجلاب منهجيات وأدوات مفاهيمية من حقول معرفية أخرى إلى داخل حقل دراسات الترجمة وتطويرها بهدف إلقاء ضوء جديد على الظواهر الترجمية المختلفة. أما الدراسات العابرة للحقول البحثية فتهتم بخروج دراسات الترجمة إلى الحقول المعرفية الأخرى، ساعيةً إلى التأثير فيها من خلال ما أنجزته دراسات الترجمة من زخم نظري ومفاهيمي على مدار العقود الأربعة الماضية.

ترجمة الإنسانيات في العالم العربي

كما ذكرنا في مقدمة الورقة، يصعب البحث في الترجمة كخطاب شارح دون إلقاء بعض الضوء على الترجمة كممارسة. ونظرًا لتركيز التقرير الرابع للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية على العلوم الإنسانية، فسيركز هذا القسم من الورقة على تقديم ملاحظات عامة على ترجمة الإنسانيات في العالم العربي في السنوات العشر الأخيرة، مع التركيز على ما نُشِر من ترجمات في مجالات الإنسانيات داخل مؤسسة واحدة تهتم بنشر الترجمة وهي المركز القومي للترجمة في مصر، وذلك في الفترة من 2011 حتى 2021. لتسهيل فهم دلالات التوجهات العامة للنشر داخل المركز القومي للترجمة، سينظر إلى هذه التوجها في ضوء دراسة بيبليوغرافية سابقة عن نفس توهجها النشر في سوق الترجمة في مصر في مجالات الإنسانيات في الفترة بين عام 2000 وعام 2021[5].

- **اللغات الأصلية للترجمة**: بشكلٍ عام ما زالت الإنجليزية تحصل على النصيب الأكبر من عدد الكتب المترجمة عنها، بالمقارنة مع اللغات الأخرى، مع ملاحظة وجود انحسار واضح في الفجوة بين الكتب المترجمة عن الإنجليزية والكتب المترجمة عن غيرها من اللغات. على سبيل المثال فنسبة عدد المطبوعات المترجمة عن الإنجليزية في مجالات الأدب والدراسات الأدبية والمسرح والدراسات الثقافية في بلد مثل مصر في الفترة من 2000 إلى 2006 بلغت 77% من حجم الترجمات المنشورة في مقابل 3% للمطبوعات المنشورة عن الفرنسية، و20% لإجمالي المطبوعات المترجمة عن كل اللغات الأوروبية الأخرى (بما فيها الأسبانية والإيطالية والألمانية، والبولندية والروسية)، هذا فضلًا عن اللغات الآسيوية والأفريقية الأخرى (Hanna & Habashi, 2011: 23). في الفترة من 2011 حتى 2021 انحسرت هذه الفجوة بين الإنجليزية وغيرها من اللغات بشكل واضح. على الرغم أننا لا نملك بيانات عن كافة ما نُشِر في العالم العربي كله من ترجمات في مجال الإنسانيات[6]، يمكن الاستدلال على انحسار هذه الفجوة بالنظر إلى بيانات النشر الخاصة بالمركز القومي للترجمة؛ ففي الفترة من 2011 حتى 2021 حظيت الكتب المنشورة عن الإنجليزية بنسبة 56% من إجمالي الكتب المترجمة عن كل اللغات، فيما تُرجِم عن الفرنسية – مثلًا – إجمالي 13% من مجموع ما نُشر من ترجمات، وتوزعت الحصة المتبقية على لغاتٍ أخرى بعضها لم يكن على خارطة الترجمة إلى اللغة العربية، مثل الدانماركية واليوغسلافية، والبنغالية والأذربيجانية وغيرها.(أنظر الرسم البياني للنسب المئية للغات الترجمة الأصلية لما تم نشره في المركز القومي للترجمة في الفترة بين 2011 و2021)

[5] أنظر (Hanna & Habashi, 2011)

[6] واحدة من تحديات إجراء هذا النوع من الدراسات البيبليوغرافية هي صعوبة الحصول على قوائم ما طُبِع من ترجمات من دور النشر العربية المختلفة. سهولة الحصول على قوائم نشر المركز القومي للترجمة كان السبب الرئيسي في استخدام البيانات المتعلقة بهذه المؤسسة دون غيرها.

اللغات الأصليّة للكتب المترجمة إلى العربيّة في المركز القومي للترجمة في مصر بين 2011 و2021 (%)

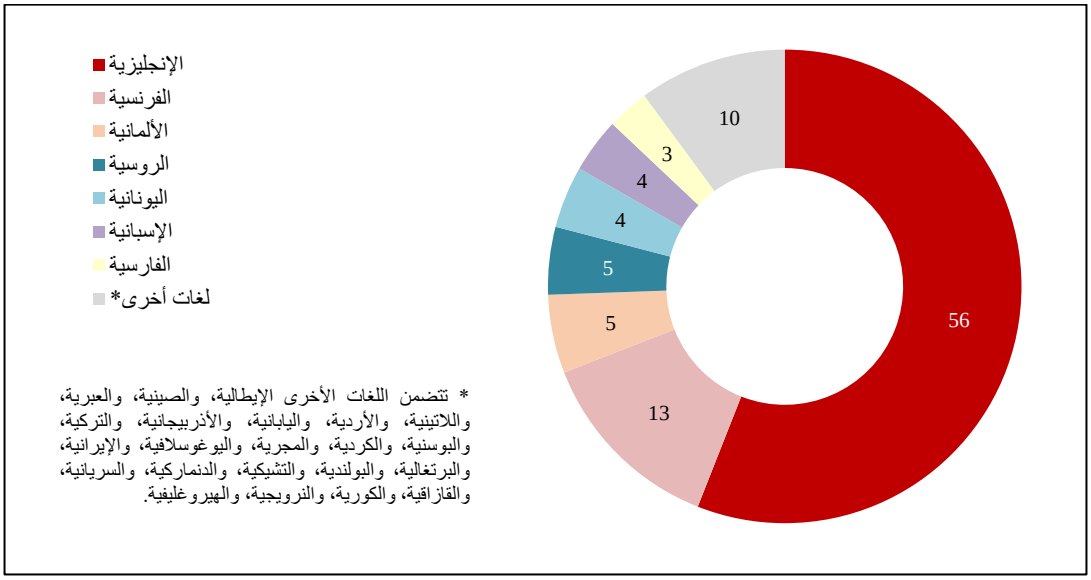

غير أن هذه الإحصاءات يجب أن تُقرَأ بشيء من الحذر، لعدة أسباب، من بينها أن عدد من المطبوعات الموجودة على قوائم النشر الخاصة بالمركز القومي للترجمة، هي إعادة نشر لترجمات قديمة لمترجمين بارزين، مثل لويس عوض ("نصوص من النقد الأدبي اليوناني" المنشورة عام 2015) ويحيى حقي (ترجماته لأعمال ديزموند ستيورات المنشورة عام 2013).

- **التخصصات المعرفية**: أما فيما يتعلق بتوزيع ما نُشر من ترجمات على التخصصات المعرفية المختلفة، فيلاحظ استمرار سطوة الآداب بأجناسها المختلفة، حيث بلغت نسبة ما تُرجِم منها 42% في مقابل 21% للعلوم الاجتماعية و5% فقط للعلوم البحتة. يؤشر ذلك على استمرارية النموذج الإنسانوي (على حد تعبير جاكمون) في انتقاء الكتب المترجمة. من الملاحظ أيضًا زيادة في شريحة الكتب المترجمة في مجالات لم تكن تحظَ بما تستحقه من اهتمام مثل التاريخ (10%) والفنون (7%) (أنظر الرسم البياني للنسب المئوية لتخصصات الكتب المترجمة). كذلك دخلت دائرة اهتمام الناشرين والقراء تخصصات معرفية لم تكن تحظَ بكثير اهتمام مثل الدراسات الدينية ذات الطابع التاريخي والاجتماعي/الأنثروبولوجي: مثال ذلك كتاب "الإسلام في أوروبا" لعزيز العظمة وأيفي فوكاس، ترجمة أحمد الشيمي (2011)، ومجموعة تفسيرات الرابي اليهودي المولود في مصر سعديا جاوون والتي كتبها بالعربية المدونة بحروف عبرية، وتشمل تفسيراته لبعض أسفار التناخ، ومنها التوراة وسفر أيوب وسفر الأمثال.

التخصّصات المعرفية للكتب المترجمة إلى العربيّة في المركز القومي للترجمة في مصر بين 2011 و2021 (%)

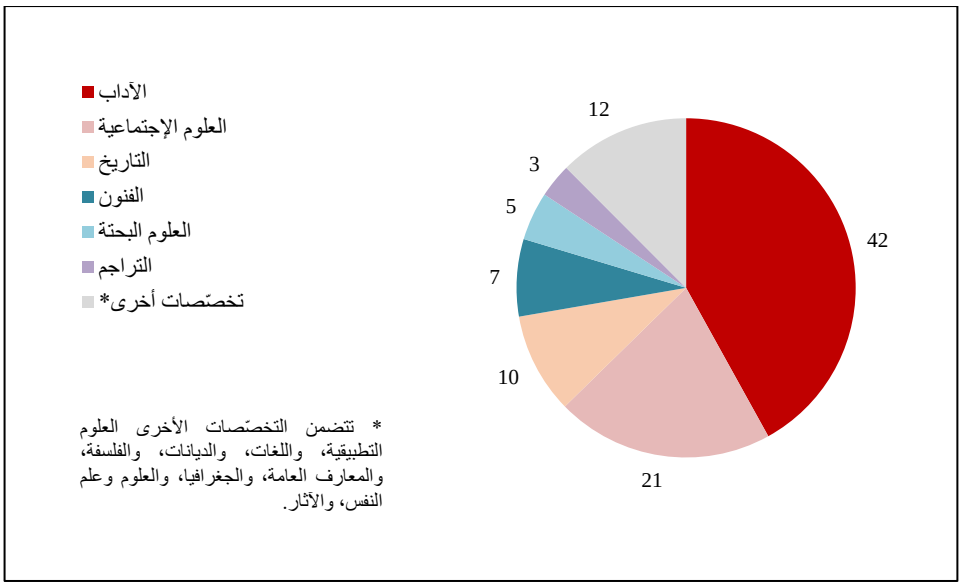

- **انحسار الترجمة عن لغة وسيطة**: يلاحظ أن ظاهرة الترجمة عن لغة وسيطة تكاد تكون قد انحسرت تمامًا على عكس السائد في نهايات القرن التاسع العشر حتى منتصف القرن العشرين، حين كانت الفرنسية تستخدم كلغة وسيطة لترجمة الأعمال الأدبية في نهايات القرن التاسع عشر، لتحل الإنجليزية محلها كلغة وسيطة لمعظم ما تُرجم في النصف الأول من القرن العشرين. ربما يرجع ذلك إلى زيادة عدد الخريجين المؤهلين في اللغات التي كانت تترجم من خلال لغة وسيطة. كما ذكرت سالفًا، هناك العديد من اللغات الهامشية التي كانت تترجم آدابها من خلال لغات وسيطة منذ عشر سنوات؛ الآن وبعد ظهور متخصصين في هذه اللغات، انحسرت – أو كادت – ظاهرة الترجمة عن لغة وسيطة.
- **توزيع الأجناس الأدبية ودخول أجناس جديدة**: تشير قوائم النشر الخاصة بالمركز القومي للترجمة (وغيره من دور النشر المهتمة بنشر الآداب الأجنبية) إلى إعطاء الأولوية لجنس الرواية، مع وجود هامش نشر للأجناس الأدبية الأخرى، كالمسرح والشعر والقصة القصيرة. أيضًا تشير القوائم إلى دخول أجناس أدبية جديدة كالرواية المصورة graphic novel إلى دوائر اهتمام الناشرين والقراء؛ مثال ذلك رواية "عايدة" المصورة للكاتب الفرنسي ريمون ماريك وترجمها عباس أبو غزالة ونشرت عام 2010.
- **تزايد عدد الناشرين العرب المهتمين بالترجمة وتعدد وسائط النشر**: لوحظ في السنوات الأخيرة، لا سيما عقب ثورات الربيع العربي، تزايد عدد الناشرين العرب، ليس فقط داخل العالم العربي، وإنما أيضًا خارجه؛ فقد شهد العقد الأخير بزوغ نجم عدد من دور النشر العربية التي تعمل من أوروبا والتي تولي الترجمة اهتمامًا ملحوظًا، لا سيما ترجمة العناوين التي قد يصعب على الناشرين داخل العالم العربي نشرها لأسبابٍ رقابية. المثالان البارزان على ذلك هما دار نشر الجمل وتعمل من ألمانيا ودار نشر المتوسط وتعمل من إيطاليا. أيضًا ظهرت في الأعوام القليلة الماضية دور نشر اهتمت بالنشر الإلكتروني، وبعضها يتيح ما ينشره مجانًا للقراء؛ مثال ذلك مؤسسة هنداوي التي نشرت في الأعوام القليلة الماضية عددًا من الترجمات، فضلًا عن اهتمامها بنشر أعمال المؤلفين العرب وإعادة نشر أعمال أخرى كلاسيكية.

خارطة "دراسات الترجمة العربية" في العقد الأخير

فيما يتعلق ب "دراسات الترجمة العربية" يمكن رصد الخطوط العريضة للواقع الآني فيما يلي:

- **على مستوى التدريس في التعليم العالي**، ما زالت الترجمة مادة ثانوية في بكالوريوس الأدب واللسانيات، وما زالت محصورة في تدريس المهارات اللغوية المطلوبة في سوق العمل، مع التركيز على مهارات الترجمة التحريرية، يليها مهارات الترجمة الشفاهية. بعض الجامعات ابتدأت تدريجيًا الاهتمام بأشكال أخرى من الترجمة مثل الترجمة السمعبصرية (جامعات القاهرة وعين شمس في مصر، وجامعة قطر، وجامعة السلطان قابوس). حضور نظريات الترجمة الحديثة في درجات البكالوريوس فقير، في الغالب، ويركز في أغلبه على نظريات التكافؤ اللغوي والنظريات الوظيفية. لعل الاستثناء الوحيد هو مقرر بكالوريوس الأدب واللسانيات في جامعة قطر التي تقدم تخصص فرعي في الترجمة في مرحلة البكالوريوس يحوي مادة إجبارية بعنوان "نظريات الترجمة المعاصرة". من وصف المقرر، هناك تميز ملحوظ في الموضوعات المدرجة التي تشمل "التحول الثقافي في دراسات الترجمة"، "الترجمة والأيديولوجيا"، "الترجمة وخفاء المترجم"، إلخ.
- **من جهة برامج الماجستير** في دراسات الترجمة فهي محدودة للغاية، نذكر منها برنامج حديث نسبيًا في جامعة القاهرة وهو ماجستير سياسات الترجمة الذي يضم موادًا من قبيل "مدخل إلى دراسات الترجمة"، "الترجمة ودراسات الجندر"، "سياسات الترجمة في العالم العربي" (وهي مادة فريدة في بابها، لم أرَ مثيلًا لها في جامعات أخرى). جامعة السلطان قابوس لديها أيضًا ماجستير ترجمة. بعض الجامعات الأخرى لديها برامج ماجستير وأحيانًا دكتوراه في الترجمة، لكن كل التركيز على المقاربات اللغوية للترجمة. بمقارنة برامج الماجستير في دراسات الترجمة، يمكن القول أن ماجستير سياسات الترجمة في جامعة القاهرة يقترب إلى حدٍ كبير من نظراءه من برامج الماجستير في الأكاديميا الغربية، بل ويتجاوزها من حيث فهمه للسياق الذي يقدم فيه هذا البرنامج وتقديمها لمقررات تخدم هذا السياق مثل "سياسات الترجمة في العالم العربي". ربما يكون هذا البرنامج هو الوحيد أيضًا الذي يجهز خريجيه للبدء في مرحلة الدكتوراه من خلال تركيزه على الترجمة كخطاب شارح، وتعريف الخريجين بأدوافتها المفهومية ومناهجها الحديثة.
- **من ناحية نوعيات/موضوعات رسائل الدكتوراه:** الغالبية العظمى من رسائل الدكتوراه في العالم العربي تميل إلى التركيز على الدراسة اللغوية المقارنة/التقابلية بين النص المصدر والنص الهدف، مع الاهتمام، إما بالترجمة الأدبية أو بترجمة القرآن. البيئة البحثية المتاحة للباحث العربي في جامعات الغرب فتحت له أفق الاشتباك الإيجابي مع المقاربات الأخرى للترجمة مثل المقاربة السوسيولوجية (من طلابي فقط، خمس رسائل دكتوراه على الأقل استخدمت المنهج السوسيولوجي الذي طوره بورديو في فهم ظواهر ترجمية تتراوح بين "ترجمات القرآن التي

قامت بها نساء مترجمات، وترجمات نصوص الإسلاميين إلى اللغة الإنجليزية، وترجمة القصة القصيرة في السعودية، والترجمة السمعبصرية لسلسلة أفلام هاري بوتر، على سبيل المثال).

- **من ناحية التمويل البحثي المخصص لدراسات الترجمة العربية، فهو شحيحٌ للغاية داخل العالم العربي:** الاستثناء الوحيد لذلك ربما هو التمويل الذي تخصصه مؤسسة قطر لتشجيع دراسات الترجمة. المثال الأهم هنا هو مشروع طارق شما ومعه ميريام سلامة كار في جمع أنطولوجيا الخطاب العربي عن الترجمة، الذي نشرت ترجمته إلى الإنجليزية من خلال راوتلدج كما صدرت النسخة العربية منه عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. وتضم هذه الأنطولوجيا ما يقرب من 500 نص (متباين الطول) من نصوص وتعليقات تجسد الفكر الترجمي العربي منذ ما قبل الإسلام وحتى القرن التاسع عشر. بعد كل نص يقدم محررا هذه الأنطولوجيا تعليقًا يضع النص في سياقه التاريخي والثقافي ويطرح عليه الأسئلة التي تفتح أبوبًا للبحث أمام الباحثين العربي المهتمين بكتابة تاريخ الفكر الترجمي عند العربي.
- **انحسار التمويل طال أيضًا الجامعات والمراكز الأجنبية الناشطة في العالم العربي، والتي اهتمت بدراسات الترجمة:** المثال الأبرز هنا هو مركز دراسات الترجمة في الجامعة الأمريكية في القاهرة، الذي تم إغلاقه عام 2022، على ما يبدو لأسباب تمويلية.
- **الباحثون العرب/منتجو المعرفة:** الملاحظ أن دراسات الترجمة في السنوات العشر الأخيرة ابتدأت تنفتح على التراثات الترجمية خارج المركز الأوروبي-الأمريكي، فابتدأنا نرى ظهورًا لافتًا للتراث الترجمي في الصين وفي أمريكا اللاتينية مثلًا. الترجمة في التراث العربي ابتدأت تأخذ مكانها، وإن كان ذلك يحدث من خلال باحثين عرب أو من أصول عربية يعيشون في الغرب، وتتيح لهم حرية البحث وتوفر التمويل الاشتباك الفاعل مع دراسات الترجمة. أمثلة لبعض هذه الأسماء: (منى بيكر، ميريام سلامة كار، طارق شما، سماح سليم، سامح حنا، ريشار جاكمون). هناك أسماء معدودة ما زالت جغرافيًا مستقرة في العالم العربي، ولكنها قادرة على الإسهام بالنشر والمشاركة في الفعاليات.
- **دراسات الترجمة العربية في المطبوعات والدوريات العربية:** لا توجد مجلة علمية تهتم بدراسات الترجمة بالمعنى المفهوم. مجلة كلية الألسن ومجلات أقسام اللغات بالجامعات العربية المختلفة تضم أبحاث متنوعة، معظمها يصب في علم اللغويات، وبعضها يتعلق بالترجمة وقضاياها، وإن كان أغلب ما يُنشر حول الترجمة يغلب عليها المقاربة اللغوية الصرفة التي تركز على مقارنة النص المصدر بالنص الهدف، بغية تحديد استراتيجيات الترجمة التي اتبعها المترجم في نقله للنص. بالإضافة إلى المجلات الخاصة بأقسام اللغات، هناك مبادرات لمطبوعات من المراكز الثقافية، منها مجلة **أواصر** التي كانت تصدر عن المركز القومي للترجمة بمبادرة من جابر عصفور[7]. أيضًا واحدة من المجلات العلمية العربية المتخصصة في دراسات الترجمة هي "المجلة المغربية لدراسات الترجمة" التي تصدر عن مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالمغرب؛ صدر من هذه المجلة بعض الأعداد اللافتة، ويبدو أنها توقفت الآن.. من الأعداد المميزة الصادرة عن هذه المجلة العدد الرابع الذي ضم ملفًا خاصًا عن "الترجمة في المغرب العربي" وبه دراسة لافتة عن 'المساهمة المغربية في دراسات الترجمة'. عدد من المجلاث الثقافية العربية يهتم بنشر ترجمات، خصوصًا في مجالات الإنسانيات المختلفة؛ وإن كان يندر أن تنشر مجلة ثقافية غير متخصصة بحثًا في "دراسات الترجمة". ربما المجلة العربية الوحيدة التي اهتمت بإطلاع القارئ العربي على حقل "دراسات الترجمة" هي مجلة فصول ، التي نشرت في عددٍ خاص لها ملفًا عن "دراسات الترجمة"، بمبادرة من هدى وصفي وتحرير سامح حنا. عدا ذلك، فإن محتويات ما ينشر لا تتجاوز التأمل في المشكلات اللغوية. هناك بعض المقالات التي تنشر في مجلات غير متخصصة، ثم تُجمع لاحقًا في كُتُب، وهي تنزع – إجمالًا - إلى التأمل الفلسفي في الترجمة (مثلما نجد في كتابات عبد السلام بنعبد العالي)، وإن كان الطرح أكثره مُترجمًا، يفتقر إلى الأصالة في المنهج وفي اختيار الظواهر الترجمية موضوع البحث.
- **سؤال ثورات الربيع العربي وتأثيرها في دراسات الترجمة العربية**:

ربما ما زلنا بحاجة إلى الوقت لدراسة تأثير ثورات الربيع العربي على الترجمة كممارسة وكخطاب شارح، وإن كنا نستطيع أن نستكنه بعض الإشارات المبدئية لما أحدثته هذه الثورات من تأثير في دراسات الترجمة العربية. حسبما نعلم، لا توجد دراسة متاحة بالعربية عن علاقة ثورات الربيع العربي بدراسات الترجمة، ولعل ذلك يعود إلى القيود الرقابية المفروضة على الباحثين العرب والتي تمنع النشر في هذا المجال. من ناحيةٍ أخرى، ظهر عدد من الدراسات بالإنجليزية ألقت بعض الضوء على نقاط التماس بين ثورات الربيع العربي ودراسات الترجمة، نجملها في الآتي:

1. كتاب من تحرير منى بيكر بعنوان "ترجمة الاعتراض" (2016) وهو يرصد ظواهر ترجمية نشأت كنتيجة لحركات الاحتجاج التي عمت العالم العربي بدءً من العام 2011 (Baker, 2016)
2. كتاب من تحرير سامية محرز (2012) وضم أوراق مقدمة من طلبة مركز دراسات الترجمة بالجامعة الأمريكية بعنوان "ترجمة ثورة مصر" (Mehrez, 2012)

[7] لم تستمر هذه المطبوعة طويلًا، لأسباب تتعلق بوضعها القانوني.

3. "كتاب رواتلدج في دراسات الترجمة العربية" (2020) من تحرير سامح حنا وهانم الفرحاتي وعبد الوهاب خليفة، وهو يضم ثلاث فصول بنسبة 11% من إجمالي الكتاب تركز بشكل خاص على علاقة الترجمة بثورات الربيع العربي. (Hanna, El-Farahaty, & Khalifa, 2020)

بمراجعة هذه الدراسات، يمكن الخروج بالملاحظات المبدئية الآتية التي تؤشر على علاقة ثورات الربيع العربي بدراسات الترجمة:

- جُل الدراسات المُشار إليها في الكُتُب الثلاثة السابقة تعكس تطورًا ناشئًا في دراسات الترجمة في السنوات الأخيرة والذي يؤكد على دور المترجم و/أو الباحث في دراسات الترجمة بوصفه ناشطًا سياسيًا /ثقافيًا/اجتماعيًا. هذا التوجه في دراسات الترجمة يؤكد على عدم حيادية فعل الترجمة، ممارسةً وبحثًا، وعلى قدرته على صياغة وتعديل مسار الخطابات السياسية التي تمخض عنها الربيع العربي (أنظر مقدمة منى بيكر لكتاب "ترجمة الاعتراض").
- الأثر اللافت لثورات الربيع العربي على دراسات الترجمة العربية، كما تؤشر عليه الدراسات السابقة، هو توسيع زاوية النظر للظواهر التي ينطبق عليها تعريف الترجمة. كما أشرنا سابقًا، ظلت دراسة الترجمة في العالم العربي لعقودٍ طويلة محصورة في الظاهرة النصية، وفي آليات نقل اللغة والمعنى من نصٍ لآخر. ربما تساعد الظواهر والخطابات السياسية التي أدت إلى ثورات الربيع العربي وتمخضت عنها إلى إضافة ظواهر أخرى تستوجب البحث فيها من وجهة نظر ترجمية. مثل ترجمة الصور، والرسومات والكتابات الحائطية التي انتشرت في ميادين التحرير في العواصم العربية، وترجمة الشعارات والهتافات التي رفعت في هذه الميادين. كذلك نشأت ظواهر أخرى لها علاقة باستخدام وسائط التواصل الاجتماعي في نقل الخطابات الخارجة من الميادين وترجمتها إلى لغاتٍ مختلفة. كل هذه الظواهر ظلت على هامش اهتمام الباحث العربي؛ لعل السنوات القادمة تشهد اهتمامًا أكبر بها.
- توسيع مدى النظر في الظواهر الترجمية، كاستجابة لما أحدثته ثورات الربيع العربي، سيؤدي حتمًا إلى تطوير أدوات مفاهيمية جديدة وتجريب منهجيات طازجة قادرة على استكناه الظواهر الترجمية المستجدة. في الدراسات المُشار إليها نلحظ اهتمامًا بالمنهجيات الاجتماعية في دراسة ظواهر الربيع العربي، مثل المقاربة السردية، والمقاربات المختلفة من خلال نظرية الحقل التي طورها بورديو، والمقاربات التي تهتم بالوسائط المتعددة. كل هذه المنهجيات والمقاربات مرشحة للتطوير والتطبيق في السنوات القادمة، بسبب ما أحدثته ثورات الربيع العربي من تغيير في النظرة إلى الترجمة.

ملاحظات ختامية وتوصيات

- ترسيم حدود حقل ما يسمى ب "الدراسات الترجمة العربية" يحتاج إلى نقاش موسع بين المهتمين ويحتاج طرح تساؤلات جادة حول تعريف هذا الحقل الناشيء، تحديد العاملين فيه، اللاعبين الأساسيين منهم والهامشيين، كما يحتاج إلى تحديد آليات عمل هذا الحقل، ونوعية رأس المال الذي يتشكل حوله الحقل وتدور على أساسه علاقات التعاون والتنافس بين العاملين فيه.
- واحدة من الأسئلة التكوينية المطروحة على العاملين في هذا الحقل تدور حول نقاط التماس بين الترجمة كظاهرة والترجمة كخطاب شارح : ما الذي يحتاجه ممارس الترجمة من دارس الترجمة؟ وما الذي يحتاج أن يتعلمه دارس الترجمة من ممارسها؟ وما الآليات الواجب تطويرها داخل برامج دراسات الترجمة في التعليم العالي العربي والتي من شأنها تفكيك ثنائية الممارسة/التنظير؟
- ترجمة الإنسانيات إلى اللغة العربية تحتاج إلى دراسات متكاملة تجمع بين البحث الإحصائي-البيبليوغرافي القادر على رسم صورة قريبة للواقع، بما في ذلك الهيئات المُنتِجة للترجمة، آليات ومعايير اختيارها للنصوص، معايير تقييم الجودة (وهي مسألة تحتاج تقنين في العالم العربي)، العلاقة بين هذه الهيئات والمؤسسات السيادية، بما تفرضه من قيودٍ رقابية.
- الفجوة المعرفية بين الأكاديميا الغربية ونظيرتها العربية ما زالت قائمة فيما يتعلق بدراسات الترجمة. الأسئلة المطروحة والتحديات التي يواجهها العاملون في المجالين تكاد تتناقض. ففي حين تحاول الأكاديميا الغربية الحفاظ على تماسك حقل دراسات الترجمة، جنبًا إلى جنب تشجيع الدراسات البينية والعابرة للتخصص، مازال الباحث العربي يحاول أن يؤسس لاستقلالية حقل "دراسات الترجمة العربية" بعيدًا عن علوم اللغة والأدب المقارن. ربما تلعب أحداث الربيع العربي دورًا مهمًا في التسريع بتطوير هذا الحقل، مفاهيمه وأدواته المنهجية.

قائمة المراجع

Baker, M., Delabastita, D., Inghilleri, M., Harding, S.-A., & Polezzi, L. (2020). 25 years of *The Translator* : Mona Baker, Moira Inghilleri and Dirk Delabastita in conversation with Sue-Ann Harding and Loredana Polezzi. *The Translator*, *26*(3), 297–309. doi: 10.1080/13556509.2020.1852717

Baker, M., & Saldanha, G. (Eds.). (2020). *Routledge Encyclopedia of Translation Studies* (3rd ed.). London and New York: Routledge.

Baker, M. (1998). Translation Studies. In M. Baker (Ed.), *The Routledge Encyclopedia of Translation Studies*. London and New York: Routledge.

Baker, M. (Ed.). (2016). *Translating Dissent: Voices* from *and* with *the Egyptian Revolution*. London & New York: Routledge. doi: 10.4324/9781315680873

Baker, M. (2019a). Beyond the Spectacle*. In K. H. Kim & Y. Zhu (Eds.), *Researching translation in the age of technology and global conflict: selected works of mona baker* (pp. 312–328). 1. | New York : Taylor and Francis, 2019. | Series: Key thinkers on translation: Routledge. doi: 10.4324/9780429024221-18

Baker, M. (2019b). Narrative analysis and translation*. In K. H. Kim & Y. Zhu (Eds.), *Researching translation in the age of technology and global conflict: selected works of mona baker* (pp. 190–207). 1. | New York : Taylor and Francis, 2019. | Series: Key thinkers on translation: Routledge. doi: 10.4324/9780429024221-12

Chesterman, A. (2019). Consilience or fragmentation in Translation Studies today? *Slovo.Ru: Baltic Accent*, *10*(1), 9–20. doi: 10.5922/2225-5346-2019-1-1

Hanna, S., El-Farahaty, H., & Khalifa, A.-W. (2020). *The Routledge Handbook of Arabic Translation*. London & New York: Routledge.

Hanna, S., & Habashi, A. (2011). *Flows of English-Arabic translation in Egypt in the areas of literature, literary/cultural and theatre studies: two case studies of the genesis and development of the translation market in modern Egypt* (p. 113). Transeuropeenes and Anna Lindh Foundation. Retrieved from Transeuropeenes and Anna Lindh Foundation website: http://usir.salford.ac.uk/id/eprint/19302/1/Flows_of_English-Arabic_Translation_in_Modern_Egypt_in_Literature_Theatre_Literary_Cultural_Studies.pdf

Jacquemond, R. (2009). Translation policies in the Arab World. *The Translator*, *15*(1), 15–35. doi: 10.1080/13556509.2009.10799269

Mehrez, S. (Ed.). (2012). *Translating egypt's revolution: the language of tahrir (A tahrir studies edition)*. American University in Cairo Press. doi: 10.5743/cairo/9789774165337.001.0001

Mehrez, S. (Ed.). (2019). *In the Shoes of the Other: Interdisciplinary Essays in Translation Studies from Cairo*. Cairo: Al Kotob Khan.

Selim, S., Baker, M., & Jacquemond, R. (2009). Nation and Translation in the Middle East A Selected Bibliography. *Translator*, *15*(1), 215–220.

Shamma, T., Salama-Carr, M., & Baker, M. (2021). *Anthology of Arabic Discourse on Translation*. London: Routledge. doi: 10.4324/9781003247784

van Doorslaer, L. (2020). Translation studies: what's in a name? *Asia Pacific Translation and Intercultural Studies*, *7*(2), 139–150. doi: 10.1080/23306343.2020.1824761

Zanettin, F., Saldanha, G., & Harding, S.-A. (2015). Sketching landscapes in translation studies: A bibliographic study. *Perspectives: Studies in Translation Theory and Practice*, *23*(2), 161–182.

Zwischenberger, C. (2019). From inward to outward: the need for translation studies to become outward-going. *The Translator*, *25*(3), 256–268. doi: 10.1080/13556509.2019.1654060